# أستقبال العلماء وبتبجيلهم في كتاب تاريخ بغداد للــخطيب البـــغدادي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)

**م. م. محمد سلمان حمود الصافي**
**المديرية العامة لتربية ذي قار- قسم تربية قلعة سكر**

**الملخص**

يعد الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م) من المؤرخين الاسلاميين الكبار الذي ترك مصنفات تاريخية عظيمة، وتعد من مفاخر التاريخ الاسلامي. أهم النتاجات التاريخية للخطيب البغدادي هو كتاب تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهلها وواردیها. تتقسم الدراسة مبحثين، المبحث الاول: الحياة الشخصية للخطيب البغدادي، من اسمه ومولد ولقبه وعقيدته ومذهبه ومكانته العلمية واراء العلماء فيه وحتى مرضه ووفاته.اما المبحث الثاني: يشير الى اهم حالات الاستقبال والتبجيل التي وثقها الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام). فضلاً عن الى المبحثين احتوت الدراسة على مقدمة استعرضت أهمية العلم ومكانة العلماء في القران الكريم، وخاتمة.

Abstract

The Baghdadi preacher Abu Bakr Ahmed bin Ali Thabet is considered one of the great Islamic historians who leaves great historical works that are considered among the glories of Islamic history.

The most important historical product of the al-Baghdadi preacher is the book The History of the City of Peace and the news of its interlocutors, and the Qattanha mentioned scholars other than its people and those who came to it.

As for the second topic, which is located close to Al-Tarheeb, it is located near the reception station that Al Baghdadi preacher, documented in his book History of Baghdad (History of the City of Peace).

In the form of a study, the study will deal with a recent scientific and personal study of the preacher, and from his name, birth, surname, restriction, doctrine, scientific position, scholars' opinions about him, his illness and his death.

**المقدمة**

**قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط)** [١]. ان هذه الآية المباركة وغيرها من الآيات على أهمية العلم والعلماء، كما ان القران الكريم قد ذكر فضل العلم والعلماء على المجتمع الإسلامي، وكانت اول اية في كتابه تعالى **(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ )**[٢]، ومن هذا المنطلق كانت لرعاية العلماء وتبجيلهم عند الخلفاء والامراء أهمية كبرى، وكانت هناك حالة من التنافس والتسابق فيما بين الدول في رعايتكم وتكريمهم، ان هذا الاعتزاز بالعلماء قد تأصل في نفوس الناس في المجتمع الإسلامي. كان الخلفاء حريصون على اسناد العلماء والمحدثين المناصب الدينية العليا في الدولة الإسلامية، وكانت مهنة القضاء تتصدر جميع المناصب، كما لحظنا بعض العلماء قد رفض هذا الاسناد. وكان تبجيل العلماء واضح حتى بعد وفاتهم، وحرص الخلفاء والوزراء والامراء وحتى عامة الناس، على حضور مراسيم دفن العلماء وكانت الاعداد تصل الى عشرات الالاف، ما تغص به الشوارع.

**المبحث الاول: السيرة الشخصية للخطيب البغدادي**

**اسمه ونسبه**

هو ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي، من أرومة عربيه، واهله يسكنون الريف بقريه يقال لها الحصاصة[٣]، لم يخبره ابوه باسم عشيرته واكتفى بان ابلغه انهم من العرب، ولم يذكر البغدادي اسم عشيرته عند ذكره لترجمة والده[٤]. وكان والده أحد حفاظ القران الكريم وكان قد تولى الإمامة والخطابة التي على المنبر في درزيجان وهي قرية في الجانب الغربي من نهر دجلة، وهي قريبة من بغداد، وهي احدى مدن المدائن، وكان أصله من العرب. اما لقب الخطيب الارجح

انه تابع مهنة الخطابة بعد ابيه الذي كان خطيبا[٥] .

**مولده**

ولد يوم الخميس الرابع والعشرون من جمادى الاخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة[٦]. وذكر ابن الجوزي انه ولد في سنة احدى وتسعين وثلاثمائة[٧].

**منزلته العلمية**

يعد ابو بكر الخطيب البغدادي واحد من العلماء البارزين الذين انتجهم القرن الخامس الهجري، وذلك لما خلف من تراث فكري اتسم بالسعة والاصالة في آن واحد، وصار عوناً لمن جاء بعده من المؤلفين، فاكثروا الاقتباس منه واعتمدوا عليه وفي مقدمه اعماله كتابه الكبير (تاريخ مدينه بغداد)، وقد عرف عنه الثقة والأمانة والاتقان وشده التحري والدين والورع ، وقد وثقه من معاصريه: عبد العزيز الكتاني ( ت ٤٦٦هـ)، وابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، المؤتمن الساجي (ت ٥٠٧هـ)، وابو علي البرداني( ت ٤٩٨هـ) ، وابو الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، وشجاع بن فارس الذهلي (ت ٥٠٧هـ)، وغيرهم، واشاد به كبار العلماء وجهابذة النقاد، ومنهم السمعاني (ت٤٨٩هـ)، وياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ)، وابن نقطة( ت٦٢٩هـ)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ)، وابن كثير ( ت ٧٧٤هـ)، والسبتي (ت ٨٠٨هـ)[٨]. وكان الخطيب البغدادي من المكثرين في التصنيف فقد احصيت مصنفاته وبلغت (٥٤) مصنفا، وذلك لأنه بدا التصنيف منذ مده مبكرة من حياته، وذكر الذهبي ان مصنفاته بلغتا (٥٦)، واما الدكتور اكرم العمري فقال (٨٧).[٩] وكان للخطيب خط مُتقن يُعنى بجودته، كما كانت كتابته مجودة محررة مضبوطة بالشكل في الاغلب الاعم، وقد نوه بذلك ياقوت الحموي فقال: كان (حسن الخط كثير الضبط)، وقال الذهبي: ( وكتابته الخطيب مليحة مفسرة، كاملة الضبط، بها اجزاء بدمشق رايتها)[١٠].

**عقيدته ومذهبه**

كان الخطيب على مذهب ابي الحسن الاشعري في الاصول وعلى مذهب الشافعي في الفروع. والمعروف من مذهب ابي الحسن الاشعري الاخير في الصفات اثباتها وعدم تأويلها، وهو مذهب الامام احمد واهل الحديث، قال الخطيب: (اما الكلام في الصفات فان ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها المثبتين، فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف. والقصد انما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الامرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه. والاصل في هذا ان الكلام في الصفات فرع

الكلام في الذات، و يحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فاذا كان معلوماً ان اثبات رب العالمين انما هو اثبات وجود لا اثبات كيفية، فكذلك اثبات صفاته انما هو اثبات وجود لا اثبات تحديد والتكييف، فاذا قلنا: لله يدُ وسمعٌ وبصرٌ، فإنما صفات اثبتها الله لنفسه، ولا نقول: ان معنى اليد القدرة، ولا ان معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول انها جوارح، ونقول: انما وجب اثباتها لان التوقيف ورد بها، وواجب نفي في التشبيه عنها[١١].

**تواضعه وكرمه**

كان الخطيب متواضعاً لا تهتز نفسه الى المدح ولا تتشوق نفسه اليه، فقد ذكر سعيد المؤدب انه قال الى الخطيب: انت الحافظ ابو بكر؟ فقال : انا احمد ان علي الخطيب، انتهى الحفظ الى الدارقطني، اما كرمه فان سيرته تدل على حبه مساعدة الناس وبذل ما عنده اليهم وليس هناك اشارة الى انه كان يأخذ شيئاً على تحديثه، بل كان يعين طلبتهُ بما يستطيع من المال[١٢].

**ما قاله العلماء فيه**

- (وكان امام عصره بلا مدافعة، وحافظ وقته بلا منازعة، صنف قريبا من مائة مصنف صارت عمده لاصحاب الحديث) ابي سعد السمعاني (ت ٥٦٢هـ)[١٣].
- ((لعل الخطيب لم ير مثله)) ... تلميذه ابو علي احمد بن محمد البرداني(ت٤٩٨هـ)[١٤].
- (كان الخطيب امام هذه الصنعة، ما رأيت مثله) ... الحافظ ابو الفتيان عمر بن عبد الكريم الرواسي (ت٥٠٣هـ)[١٥].
- (ما اخرجت بغداد بعد الدارقطني احفظ من الخطيب) ... ابو نصر المؤتمن الساجي (ت ٥٠٧هـ)[١٦].
- (امام مصنف حافظ لم ندرك مثله) ...النجيب الشجاع بن فارس الذهلي(ت٥٠٧هـ)[١٧].
- (وانتهى اليه الحفظ والاتقان القيام بعلوم الحديث) ... الحافظ احمد بن صالح بن شافع الجيلي(٥٩٧هـ)[١٨].
- (أحد الائمة المشهورين، المصنفين المكثرين والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين) ... ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ).
- (كان من الحفاظ المتقين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم) ... شمس الدين ابن خلكان (ت ٧٤٨هـ).
- ( احد الحفاظ الاعلام، ومن ختم به اتقان الشأن، وصاحب تصانيف المنتشرة في البلدان)، (الامام الاوحد العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت... صاحب

التصانيف، وخاتمة الحفاظ) ... الامام الذهبي( ت ٧٤٨هـ)[١٩].

**مرضه ووفاته**

في منتصف رمضان سنة ٤٦٣ هـ مرض الخطيب واستمر به المرض حتى اشتد عليه في غرة ذي الحجة من السنة نفسها وقد تشعر بانه دنى اجله فأوصى الى تلميذه وصديقه الحافظ ابي الفضل احمد بن الحسن واوقف كتبه على يديه، وكلفه ان يفرق ثروته من الذهب وقدرها ٢٠٠ ألف دينار وكذلك ثيابه ومتاعه على المحدثين. وفي يوم الاثنين الموافق ٧/ ذي الحجة/٤٦٣ هـ انتقل الخطيب الى جوار ربه، وبسبب اشكال حدث حول مكان القبر المخصص له تأخرت جنازته الى اليوم التالي، فحمل جنازته المحدثون والفقهاء وفي مقدمتهم اعظم فقهاء بغداد يومئذ ابو اسحاق الشيرازي مدرس المدرسة النظامية، وتابعه خلق عظيم الجسر الى جانب الغربي ومنه الى جامع المنصور، تقدم للصلاة عليه القاضي ابو الحسين ابن المهتدى بالله، محمد على جنازته الى مقابر باب حرب حيث الامام احمد وبشر الحافي فدفن هناك، وكان جماعة طوال مده التشيع ينادون بين يدي الجنازة هذا الذي كان يذب عن رسول الله (ص)، هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله (ص)، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله (ص)، وختمت عند قبره عده ختمات ورثاه الكثير من الشعراء[٢٠].

**المبحث الثاني: الاستقبالات والتبجيل**

ان اهتمام الخطيب البغدادي في ذكر حالات الاستقبال والتبجيل للعلماء في بغداد لأنها كانت مركزا للعالم الإسلامي كونها عاصمة الدولة العباسية، وقد شهدت اهتمام الخلفاء والوزراء والامراء وحتى عامة الناس في العلماء، ما جعلها محطة للعلماء ومقرا لهم.

الاستقبال: الاستقبال ضد الاستدبار. واستقبل الشيء وقابله: حاذاه بوجهه. ويقال فلا قبالتي أي مستقبلي [٢١].

التبجيل: التعظيم، بَجَل الرجلَ: عَظمَه. ورجل بجال وبجيل أي يبجله الناس[٢٢].

من حالات الاستقبال التي ذكرها الخطيب البغدادي في كتابة تاريخ مدينة السلام، استقبال محمد بن اسماعيل البخاري[٢٣] حيث صاح المنادي :" يا اهل العلم قد قدم محمد بن اسماعيل البخاري"، حتى قاموا في طلبه وكان شابا، ثم صلى وبعدما فرغ من صلاته نظروا اليه وسألوه ان يعقد لهم مجلس الاملاء فأجابهم الى ذلك، ثم نادى المنادي ثانياً في جامع البصرة: قد قدم ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، فسألوه ان يعقد لهم مجلس فأجابهم بانه سيجلس في يوم غداً ثم حدد مكان المجلس، وفي اليوم التالي حضر الفقهاء والمحدثون والحفاظ

والنظار حتى اجتمع عنده ما زاد على الالف[٢٤].

ذكر البغدادي ان الخليفة ابو جعفر المنصور "قال يا ربيع[٢٥] ان جميع لذات مولاك قد خلقن عنده، ورثثن في عينه، سوى لذته من محادثة محمد بن جعفر[٢٦] فأنها تجدد عنده في كل يوم وليلة"، فذهب الربيع وابلغ محمد وطلب ان يأتي غداً الى الخليفة، فوافق محمد برغم ما كان في نفسه من زعل على المنصور بسبب امتعاض المنصور من كثرة الطلبات التي يحملها للناس الى الخليفة، وعند سماع بعض الناس القريشين ان محمد سيذهب الى لقاء الخليفة طلبوا حمل حوائجهم التي كتبوها في رقاعهم فرفض محمد، لكنهم توسلوا اليه بأرحامهم فقال سأضعها في كمي ولن اقدمها للخليفة، وعند القاء تبادلوا الحديث ثم ظهرت الرقاع فقال محمد ارجعن خاسأت، فضحك المنصور، وطلب منه الرقاع فتصفحها المنصور ودفعها الى الربيع وامره بقضائها، فخرج محمد من عند الخليفة فقال: ربحت واربحت. وهذا الموقف يدل على ما كان يكنه المنصور لهذا العالم الجليل[٢٧].

ومن حالات الاستقبال الرائعة عندما استقبل الخليفة هارون الرشيد محمد بن سليمان (ت١٧٣هـ)[٢٨] عندما قدم عليه بعد ان اصبح خليفة، فاكرمه واعظمه وبره وصنع به ما لم يصنع بأحد، وزاده فيما كان يتولاه من اعمال البصرة كور دجلة، والاعمال المفردهُ، والبحرين والغوص وعمان واليمامة وكور الاهواز وكور فارس، ولم يجتمع لاحد غيره، وعندما اراد الرجوع شيعه الرشيد الى كلواذا[٢٩] [٣٠].

ذكر البغدادي ان الخليفة الراضي بالله (٣٢٢-٣٢٩هـ) قد طلب اسماعيل بن علي [٣١]وهو من اهل الثقة وحسن الحديث والمجلس والمعرفة بأخبار من تقدم من الناس، ويقول اسماعيل: دخلت على الخليفة وهو جالس في الشموع فقال لي: يا اسماعيل، اني قد عزمت في غد على الصلاة بالناس في المصلى ( صلاة عيد الفطر) فما الذي اقوله اذا انتهيت في الخطبة الى الدعاء الى نفسي، قال: فاطرقت ساعة ثم قلت: يقول امير المؤمنين: **(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[٣٢] فأعطاني خريطة بها ٤٠٠ دينار، وكان بها ٥٠٠ دينار فاخذ الخادم منها ١٠٠ دينار لنفسه [٣٣].

أُستقبل ابو بكر محمد بن جعفر بن محمد الفريابي (٢٠٧-٣٠١هـ) عند قدومه الى بغداد بالطيارات والزبازب[٣٤] وعد له الناس الى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه فاجتمع الناس فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث بنحو ٣٠ الف وكان

المستملون ٣١٦ ، وقيل ما كان يكتب من اصحاب المحابر بحدود ١٠,٠٠٠ انسان[٣٥].

قدم الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ( عليهم السلام ) (ت ١٤٥هـ) الى الخليفة ابو العباس السفاح في الانبار مع اخيه عبدالله بن الحسن وجماعة من الطالبين، فاكرمهم السفاح واجازهم ورجعوا الى المدينة[٣٦].

اوفد هاشم بن سعيد الحميري والي الكوفة الحسين بن ابي الحكم السلولي وهو من شعراء الكوفة، والمؤمل بن اميل المحاملي[٣٧] الى بغداد على الخليفة المهدي لبيعة موسى الهادي وهارون الرشيد فانشده الحسين.

| | |
|---|---|
| فهاك بياعنا يا خير وال | فقد جدنا به لك طائعينا |
| وان تفعل فانت لذاك اهل | بحلمك يا بن خير الناس فينا |
| وعدلك يا ابن وارث خير خلق | نبي الله خير المرسلينا |
| فان ابا ابيك وانت منه | هو العباس وارثه يقينا |
| ابان به الكتاب وذاك حق | ولسنا للكتاب مكذبينا |
| بكم فتحت وانتم غير شك | لها بالعدل اكرم خاتمينا |
| فدونكها فانت لها محل | حباك بها اله العالمينا |

فامر لهما ب ٣٠,٠٠٠ دينار، فجيء بالمال فالقي بينهما، فاخذ كل واحد منهما حصته[٣٨].

بعث الخليفة هارون الرشيد بطلب حفص بن غياث بن طلق ابو عمر النخعي الكوفي، ومعه عبدالله بن ادريس ووكيع بن الجراح وذلك لكي يولي احدهم القضاء لمدينة بغداد فوقع الاختيار على حفص بن غياث وذلك لان كلا صاحبيه قد اعتذرا عن قبول القضاء فقد قال وكيع انه لا يرى في عينه، فأعفاه الرشيد، وطرح ابن ادريس نفسه على الارض وكانه مفلوج، فأعفاه، فتقلدها حفص

بن غياث فقال: لو لا غلبة الدين والعيال ما وليت[٣٩].

يقول ابو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب والشاعر[٤٠] انه لما بويع ابراهيم بن المهدي بالخلافة، طلبني وقد كان يعرفني، وكنت متصل ببعض اسبابه، فدخلت اليه، فقال: يا خالد انشدني من شعرك، فقلت يا امير المؤمنين ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله (ص): "ان من الشعر حكماً" وانما امزح وأهزل، وليس مما ينشده امير المؤمنين، فقال لا تقل هذا يا خالد فان جد الادب وهزل جد فانشدني، فأنشدته:

| | |
|---|---|
| عش فحبيك سريعا قاتلي | والضنى ان لم تصلني واصلي |
| ظفر الشوق بقلب كمد | فيك والسقم بجسيم ناحل |
| فهما بين اكتأب وبلى | تركاني كالقضيب الذابل |
| وبكى العاذل لي من رحمة | فبكاني لبكاء العاذل |

قال: فاستملح ذلك ووصلني[٤١].

وفد الزبير بن خبيب[٤٢]، ومعه اخيه المغيرة بن خبيب صاحبا له ومتواصلا به الى الخليفة المهدي في بغداد، فامر المهدي الى الزبير بن خبيب ب ٧٠٠ دينار، ورجع الى المدينة، وأبى المغيرة الانصراف، فأعطاه المهدي ١٠٠ دينار واقام المغيرة وتسببت له صحبة العباس بن محمد ثم طلبه الخليفة المهدي من العباس بن محمد فصار اليه، وكانت له به خاصة، ثم وفد الزبير بن خبيب على الخليفة هارون الرشيد حين ولي الخلافة فأعطاه ٤,٠٠٠[٤٣].

امر الخليفة المأمون بحمل الشيخ سليمان بن حرب[٤٤] من البصرة الى بغداد وذلك بعدما سال يحيى بن أكثم عن شيوخ البصرة فذكر له عن سليمان، وما يتصف به، وعندما دخل مجلس المأمون سلم على المأمون فأجابه المأمون، ورفع مجلسه ودعا اليه سليمان بالعز والتوفيق، وكان جالس بالمجلس ابن ابي داوود فقال للمأمون: انه يريد ان يسال سليمان في مسالة، فنظر له المأمون نظرة تخيير له، فقال سليمان: يا امير المؤمنين، حدثنا حماد بن زيد[٤٥] قال: قال رجل لابن شبرمة: اسالك: فقال ان كانت مسالتك لا تضحك الجليس، ولا تزري بالمسؤول فسل.

وحدثنا وهيب بن خالد[٤٦] قال: قال اياس بن معاوية[٤٧]: من المسائل مالا ينبغي للسائل ان يسال عنها، ولا للمجيب ان يجيب فيها، فان كانت مسالته من غير هذا فليسال وان كانت من هذا فليمسك. فهابوه فما نطق احد منهم حتى قام، وولاه قضاء مكة[٤٨].

وقد ذكر البغدادي ان الخليفة هارون الرشيد لقي أبو الربيع النخاس[٤٩] فسأله عن عِلْية الهاشميين، ثم قال له: ماذا فعل سيد الناس؟ فرد عليه: يا امير المؤمنين ومن سيد الناس عندك؟! وفي رواية أخرى ومن سيد الناس غيرك؟ فأجابه الرشيد سيد الناس سفيان[٥٠] بن عُيينة[٥١]. وفي هذا النص القصير أهمية كبرى تدل مدى توقير العلماء لدى الخليفة هارون الرشيد وامام الناس لكي يجعل العلماء دائما في توقير لدى الناس.

ان الخليفة المهدي من باب الاحترام والتوقير كان يقضي عن العلماء امورهم الخاصة، فكان أخو شعبة[٥٢] قد اشترى من طعام السلطان، فخر هو وشركاؤه، فحبسه بستة الالف وهي حصته، فجاء شعبة الى المهدي ليكلمه فيه فلما دخل عليه فقال:

| | |
|---|---|
| أأذكر حاجتي ام قد كفاني | حياؤك ان شيمتكَ الحياء |
| كريم لا يعطله صباح | عن الخلق الكريم ولا مساء |
| فأرضك ارض مكرمة بنتها | بنو تيم وانت لهم سماء |

فقال : لا، يا أبا بسطام لا تذكرها، قد عرفناها وقضيناها لك، ثم امر بدفع اخاه وقال لا تلزموه شيئاً[٥٣].

كان الخلفاء حرصَ على استقدام العلماء والادباء الى بغداد، فقد استقدم الخليفة أبو المنصور الى بغداد الشرقي بن القطامي الكوفي[٥٤] واسمه الوليد بن حصين، وكان يسكن الكوفة، وكان الكوفي عالما بالأنساب، ووافرا الادب، وضم الية المهدي ليأخذ من ادبه، وحدث ان كان الشرقي جالسا بمجلي الخليفة ابي جعفر المنصور فسأله المنصور: يا شرقي علام يؤتى المرء؟ فقال الشرقي : أصلح الله الخليفة، على معروف قد سلف، ومثله مؤتنف، او قديم شرف، او علم مطرف[٥٥].

كان توقير العلماء لا يقتصر على الخلفاء والامراء بل حتى على عامة الناس بالالتفاف حول العلماء والسماع منهم ، فقد حضر عبد الله بن المبارك[٥٦] الرقة التي كان هارون الرشيد فيها سنة ١٨٠ هـ، فتبعه الناس حتى ارتفعت الغبرة، فأشرفت ام ولد لهارون الرشيد من برج القصر فلما رات الناس، قالت: ما هذا؟ قالوا عالم من اهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله

المُلك لا مُلك هارون الذي لا يجمع الناس الا بشُرط واعوان، وقال فيه الاوزاعي لعبد الرحمن بن زيد الجهصمي، رأيت ابن المبارك؟ فقال له : لا، فقال الاوزاعي: لو رايته لقرن عينُك[٥٧].

كما كان بعض الخلفاء من اعتزازهم بالعلماء مصاحبتهم وجعلهم من خواصهم كما فعل المهدي مع عبد الله بن مصعب[٥٨] عندما حاء من مدينة رسول الله الى بغداد، ثم ولاه الرشيد امارة المدينة واليمن، وكان محمودا في ولايته جميل السيرة، وكان مولده ١١١هـ ، وتولى وهو بعمر سبعين سنة وتوفي سنة ١٨٤هـ ، وهو بصحبة الرشيد في الرقة[٥٩].

عبيد الله بن محمد[٦٠] من العلماء الذين استقدمهم الخليفة أبو جعفر المنصور من مكة المكرمة الى مدينة السلام، وقلده القضاء، وكان عبيد الله عالما اديبا، وبقي في القضاء حتى وفاة أبو جعفر المنصور، فقلده المهدي مدينة الرسول (ص) القضاء، والحرب، والصلاة[٦١].

كان الخليفة هارون الرشيد قد طلب في استقدام عبيد الله بن عمر[٦٢]، فلما وصل بغداد قادما من المدينة المنورة، فطلب منه ان يوافق على توليه القضاء في المدينة، فاستعفاه عبيد الله، فلم يعفه الرشيد، ثم استعفاه، وكان متمسكا به لعلمه[٦٣].

لم يقتصر احترام الخلفاء والامراء الى العلماء في حياتهم فحسب بل وصل الى ما بعد وفاتهم، فعندما توفي عبد الملك بن محمد[٦٤] ، صلى عليه هارون الرشيد، ودفنه في مقبرة العباسة بنت المهدي، وان عبد الملك عبد الملك قبل وفاته وبعد وصوله لبغداد ولاه الرشيد القضاء بالجانب الشرقي من بغداد فمكث بعد توليته أياما ثم مات[٦٥].

اغضب أحد العلماء هارون الرشيد عندما كان جالس في مجلسه، كان عمر بن حبيب[٦٦] واثناء جلوسه قد دار حديث عن ابو هريرة واتهموه بالكذب فيما يذكر عن رسول الله (ص)، وان هارون الرشيد قد مال مع هذا الراي، الذي أحدث المدافعة والخصام بين الجالسين حتى علت أصواتهم، فقال حبيب: ان الحديث صحيح عن رسول الله (ص) وان أبو حنيفة صحيح النقل وصدوق فيما يرويه، اثار رد حبيب غضب هارون الرشيد، فشعر حبيب به فانصرف الى منزله، وبعد وصوله بقليل جاء صاحب البريد عليه لمنزله وقال له : اجب امير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن، فقال حبيب: اللهم انك تعلم تمي دافعت عم صاحب نبيك، وأجللت نبيك (ص) ان يُطعن على أصحابه فسلمني منه. كان هارون قد مسك سيفه، والنطع[٦٧] بين يديه، فقال له: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به! فقال عمر: يا امير المؤمنين ان الذي قلته وجادلت عليه فيه ازدراء على رسول الله (ص) وعلى ما

جاء به، فاذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائضُ والاحكام في الصيام، والصلاة، والطلاق، والنكاح، والحدود كله مردود، وغير مقبول، فرجع هارون الى نفسه ثم قال: احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله، احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله! احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله! وامر له ب ١٠٠٠٠ درهم[٦٨].

**الخاتمة**

استعرضت الدراسة حياة صاحب الكتاب الخطيب البغدادي وتناولت حياته الشخصية ومكانته العلمية في المجتمع الاسلامي واراء العلماء فيه.

بينت الدراسة مدى التقدير الى ناله العديد من العلماء من قبل الخلفاء والامراء وحتى عامة الناس، فقد سجل لهم الخطيب البغدادي حفاوة الاستقبال، وقد وصل الحال لبعض العلماء ان طلبهم الخلفاء للحضور من مدنهم ونالوا التكريم والهدايا، وقد عرضت على الكثير منهم المناصب الهامة كالقضاء وقد وافق بعضهم لكن رفض العديد منهم مهنة القضاء.

بالإضافة لبعض المصادر، فقد استندت الدراسة بالمصدر الاساسي وهو صلب الدراسة كتاب **تاريخ مدينة السلام** واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير اهلها وورادیها، وهذا المصدر الرائع يعد من امهات المصادر الاسلامية لما يحتويه من معلومات قيمة وثقت العديد من الاجيال، واخبار الكثير من الخلفاء والامراء ورجالات الدولة الاسلامية.

**الهوامش:**

*ساذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد صفحة للمصادر والمراجع.

(١) القران الكريم، آل عمران/ ٨.

(٢) العلق/ ١

(٣) الحصاصة: وهي قرية من قرى السواد قرب قصر ابن هبيرة وهي من اعمال الكوفة. ينظر (ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٤) الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي بن ثابت (٣٩٢-٤٦٣ هـ)، تاريخ مدينة السلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ٢٠٠١م، ج ١، ص ١٨.

(٥)الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ١٧-١٨.

(٦) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ١٨.

(٧) ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في اخبار الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، راجعه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط١، لبنان بيروت، ١٩٩٢، ج ١٦، ص ١٢٩.

(٨) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٤١.

(٩) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٤١-٤٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ( ت٧٤٨هـ)، سير اعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤، ج ١٨ ص ٢٨٩؛ العمري، اكرم ضياء، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ط ٢، دار طيبة، الرياض ١٩٨٥، ص ٥٥- ٨٤.

(١٠) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٤٩؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء ارشاد الاريب الى معرفة الاديب، تحقيق احسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣، ج ١ ص ٣٩١؛ الذهبي، سير، ج ١٨، ص ٢٧٧.

(١١) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٤٥.

(١٢) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٥٠-٥١.

(١٣) السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن ابي بكر محمد بن ابي المظفر منصور بم محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني الخرساني المروزي. ينظر (الذهبي، سير، ج ٢٠، ص٤٥٦- ٤٦٥).

(١٤) البرداني: أبو علي احمد بن محمد بن احمد بن محمد البرداني. ينظر (الذهبي، سير، ج ١٩، ص ٢١٩-٢٢٢).

(١٥) الرواسي: أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم بن سعدويه بن مهمت الدهستاني الرواسي. ينظر (الذهبي، سير، ج ١٩، ص ٣١٧-٣٢٠).

(١٦) الساجي: أبو نصر المؤتمن بن احمد بن علي بن حسين بن عبيد الله الربعي الدير عاقولي البغدادي الساجي. ينظر (الذهبي، سير، ج ١٩، ص ٣٠٨- ٣١١).

(١٧) الذهلي: فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي. ينظر (ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٧٦).

(١٨) الجيلي: أبو الفضل، احمد بن صالح ابن شافع بن صالح بن حاتم الجيلي. ينظر (الذهبي، سير، ج ٢٠، ص ٥٧٢-٥٧٣).

(١٩) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٦٩-٧١؛ السمعاني، ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي(٥٦٢هـ)، الانساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، ط٢، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٥١-١٥٢.

(٢٠) الخطيب، تاريخ، ج ١، ص ٣٧-٣٩؛ ابن كثير، ابي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق صلاح محمد الخيمي، راجعه عبد القادر الارنؤوط وبشار عواد معروف، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، ٢٠١٥ ج ١٣، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢١) ابن منظور، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج ١١، ص ٥٣٧.

(٢٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٤.

(٢٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله الجعفي، البخاري، الامام في علم الحديث، صاحب "الجامع الصحيح" "والتاريخ". ينظر (الخطيب، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٢).

(٢٤) الخطيب، تاريخ، ج ٢، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٢٥) الربيع: الربيع بن يونس أبو الفضل الاموي، الحاجب الكبير للمنصور، ثم أصبح وزيرا له، توفي سنة ١٦٩هـ. ينظر (الذهبي، سير، ج ٧، ص ٣٣٥-٣٣٦).

(٢٦) محمد بن جعفر بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، وكان فاضلا اديبا، وعاقلا لبيبا. ينظر (الخطيب، تاريخ، ج ٢، ص ٤٧٣).

(٢٧) الخطيــب، تــاريخ، ج ٢، ص ٤٧٤-٤٧٥.

(٢٨) محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي. ينظر (الخطيب، تاريخ، ج ٣، ص ٢١٥).

(٢٩) كلواذا: وهي طسوج قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقي من بغداد من جانبها ومن ناحية الجانب الغربي من نهر بوق. ينظر (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٧).

(٣٠) الخطيب، تاريخ، ج ٣، ص ٢١٥.

(٣١) اسماعيل بن علي بن يحيى بن بيان ابو محمد الخطبي (٢٦٩-٣٥٠هـ) ينظر (الخطيب، تاريخ، ج ٧، ص ٣٠٤).

(٣٢) النمل ١٩.

(٣٣) الخطيــب، تــاريخ، ج ٧، ص ٣٠٤-٣٠٦.

(٣٤) الطيــارات والزبــازب: (وهــي مراكــب مائيــة) ينظــر (الهمــداني، محمــد عبــد الملك(٥٢١هـ)، تكملة تاريخ الطبري، ط١، المطبعــة الكاثوليكيــة، بيــروت ١٩٥٨، ص ١٩٣؛١٩٧).

(٣٥) الخطيب، تاريخ، ج ٨، ص ١٠٤.

(٣٦) الخطيب، تاريخ، ج ٨، ص ٢٤٥.

(٣٧) لم اجد ترجمته.

(٣٨) الخطيــب، تــاريخ، ج ٨، ص ٥٦٣-٥٦٤.

(٣٩) الخطيب، تاريخ، ج ٩، ص ٦٩.

(٤٠) أبــو الهيــثم خالــد بــن يزيــد التميمــي الخراساني، كان أحد كُتاب الجيش في بغداد وله شعر مدون كله في الغزل. ينظر (ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان(ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢٣٢).

(٤١) الخطيب، تاريخ، ج ٩، ص ٢٥٦.

(٤٢) الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بــن الزبيــر بــن العــوام الاســدي. ينظــر (الخطيب، تاريخ، ج ٩، ص ٤٨٥).

(٤٣) الخطيب، تاريخ، ج ٩، ص ٤٨٦.

(٤٤) سليمان بن حرب، ابن بجيل شيخ الإســلام أبــو أيــوب الواشــجي، الازدي، البصري. ينظر (الذهبي، سير، ج ١٠، ص ٣٣٠).

(٤٥) حماد بن زيد، ابن درهم أبو إسماعيل الازدي، مولى ال جرير بن حازم البصري، الأزرق الضرير. ينظر ( الذهبي، سير، ج ٧، ص ٤٥٧).

(٤٦) وهيب بن خالد بن عجلان ، أبو بكر البصري الكرابيسي الباهلي. ينظر ( الذهبي، سير، ج ٧، ص ٢٢٣).

(٤٧) القاضـي ايـاس، أبـو واثلـة ايـاس بـن معاوية بن قسرة بن اياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سواهة بن سارية بن ذبيان بن ثغلبـة بـن سـليم بـن اوس بـن مزينـة المزنـي. ينظر ( الذهبي، سير، ج ١، ص ٢٤٧).

(٤٨) الخطيـب، تـاريخ، ج ١٠، ص ٤٧-٤٨.

(٤٩) لم اجد ترجمته.

(٥٠) سفيان بن عيينة بن ابي عمران، أبو محمد مولى بني عبد الله بن رويبة، من بني هلال بن صعصعة، وقيل انه مولى محمد بن مزاحم الهلالي.، وعيينة ابوه هو المكنى أبا عمران. ينظر ( الذهبي، سير، ج ٨، ص ٤٥٥).

(٥١) الخطيـب، تـاريخ، ج ١٠، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٥٢) شـعبة بـن الحجـاج بـن الـورد، أبـو البسـطام العتكـي، مـولاهم، واسـطي الأصـل بصري الدار. ينظر ( الذهبي، سير، ج ٧، ص ٢٠٣).

(٥٣) الخطيب، تاريخ، ج ١٠، ص ٣٥٥.

(٥٤) الشـرقي بـن القطـامي الكـوفي، ينظـر (الخطيب، تاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٢).

(٥٥) الخطيب، تاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٣.

(٥٦) عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن المروزي مولى بني حنظلة. ينظر (الذهبي، سير، ج ٨، ص ٣٧٨).

(٥٧) الخطيب، تاريخ، ج ١١، ص ٣٩٣.

(٥٨) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو بكر الاسدي. ينظر (الذهبي، سير، ج ٨، ص ٥١٧).

(٥٩) الخطيب، تاريخ، ج ١١، ص ٤١٥.

(٦٠) عبيد الله بن محمد بن صفوان بن عبيد الله بن عبد الله بن ابي خلف الجمحي. ينظر (وكيـع، محمـد بـن خلـف بـن حيـان (ت٣٠٦هـ)، اخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، ج ٣، ص ٢٤٩).

(٦١) الخطيب، تاريخ، ج ١٢، ص ٧.

(٦٢) عبيد الله بن عمر بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي. ينظر (الخطيب، تاريخ، ج ١٢، ص ١٢).

(٦٣) الخطيب، تاريخ، ج ١٢، ص ١٢.

(٦٤) عبد الملك أبو طاهر بن محمد بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الحزمي. ينظـر (المـزي، جمـال الـدين ابـي الحجـاج يوسـف (ت ٧٤٢هـ)، تهـذيب الكمـال فـي

أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٢، ج ١٨، ص ٢٩٣).

(٦٥) الخطيب، تاريخ، ج ١٢، ص ١٥٥.

(٦٦) عمر بن حبيب العدوي. ينظر (الحنفي، محي الدين ابي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله ابن سالم بن ابي الوفاء القرشي (ت ٧٧٥ هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، مصر ١٩٩٣، ج ٢، ص ٦٤٣).

(٦٧) النطع: بساط من الاديم. ينظر (الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، اشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٥، ص ٧٦٧).

(٦٨) الخطيب، تاريخ، ج ١٣، ص ٢٨-٢٩.